

الفصل الثامن

لماذا يخطئ الآباء في التنشئة النفسية للإبناء

هل يتمكن الآباء الصالحون من تنشئة أطفال أسوياء، لا يسببون لهم المعاناة والمتاعب فيما بعد ؟

الإجابة الصحيحة على هذا السؤال كثيراً ما تدعو إلى الشك في تحقيق ذلك. فالآباء الصالحون الذين أغنيهم هم:

هؤلاء الذين يأخذون الأمور بصفة جادة. ويتصفون بالعطف والذكاء.

ويشغلون مكانه مرموقة.. ومع ذلك فهؤلاء الآباء على الرغم من الاعتدال والحكمة التي يتصفون بها فإنهم كثيراً ما يحاولون التفكير في البحث عن الأسباب التي أدت إلى اضطراب أطفالهم نفسياً.

فالابن الأكبر أناني، والثاني مضطرب السلوك. والثالث غير متكيف مع البيئة التي تحيط به. والرابع مهموم متكدر مكتئب. فيحاول الآباء دائماً معرفة الدوافع التي أدت إلى ظهور هذه الأعراض، وغالباً ما يتجه تفكيرهم إلى الاعتقاد بأن ما حدث لأبنائهم كان نتيجة خطأ اقترفوه في التنشئة النفسية للطفل.

لذا كان من الأهمية بمكان البحث عن الإجابة الصحيحة على سؤال العائلة العام وهو:

لم لا نتمكن من تدريب الطفل على النهج الذى ينبغى عليه أن يسلكه ؟

بعد التحليل النهائى، والدراسات المستفيضة فى هذا المجال يتضح أن مصدر متاعب الآباء والأمهات مع أطفالهم ما يأتى:

١ - أن أكثر الآباء والأمهات لم يصلوا بعد إلى المفهوم الدقيق، والوعى التام الذى يمكنهم من التخلص من هذه المتاعب على طول المدى.

٢ - الآباء ليس لديهم الصلاحية الواجب توافرها لتنشئة أبنائهم تنشئة نفسية صحيحة، بمعنى أنهم يحملون أثر المعوقات التى كانت قائمة فى بيئتهم الشخصية والتى توارثوها من حيث الاستعداد النفسى.. وكذلك يحملون أثر الأخطاء والمفاهيم المزمنة التى كانت سائدة فى عصرهم.

٣ - عدم قدرة الآباء على إخفاء حقيقة عيوبهم أمام أطفالهم كى يتجنبوا تأثيرها على حياة أطفالهم. حقا إن من الصواب أن نخفى عيوبنا التى تزعجنا بداخلنا دون أن تصس أطفالنا، ولكن لم يتمكن إنسان من ابتكار طريقة لاتباعها فى هذا المجال مثال

ذلك: الأم التي تخاف من الكلاب أو الظلام، لا يتمكن أطفالها من التغلب على العدوى منها.

٤ - قلق الوالد المبالغ فيه على مستقبل ابنه الأمر النذى يؤدي إلى التضحية بكل شيء، مرهقاً نفسه، وبإذلا أقصى ما يمكن من جهد وعناء حتى يطمئن آخر الأمر إلى أنه أدى واجبه نحو ابنه على الوجه الأكمل.. ولكن هذا الاتجاه لم يتح الفرصة للأبن للاعتماد على نفسه.

٥ - أنانية الأم: التي تظهر في أمثلة متعددة متكررة كل يوم، فكم من فرصة للنفع والإفادة أضاعتها الأم على ابنها بسبب أنانيتها قصيرة النظر.. وكم من أم وقفت في سبيل مستقبل ابنها لأنها لا تريده بعيداً عنها. كأن في البعد عنها قضاء عليه وعليها.

٦ - عدم إتاحة الفرصة للأبناء للاعتماد على أنفسهم، وقيام الوالدين بكل احتياجات الأبناء صغيرة أو كبيرة، دون توجيههم إلى ضرورة الالتزام بالنظام والقيام بالأعمال البسيطة التي يستطيعون القيام بها بأنفسهم.

وذلك لأنه عن طريق ممارسة الأعمال البسيطة تتكون شخصية الإنسان. مثل خلع الملابس ووضعها في مكانها الخاص بدلا من تركها للخدم أو للأم.. الخ.

الواقع أن ما نشكو منه الآن من زخاوة السلوك وعدم القدرة على الاعتماد على النفس إنما غرست بذورها الأولى فى البيت. غرسها الآباء والأمهات بعاطفتهم الساذجة إزاء أبنائهم ورجبتهم فى توفير الراحة لهم كاملة.

لن يُجدى فى تربية شخصية الطفل أن يجد جميع رغباته تنفذ على الفور كما لن يشفع للوالدين حسن النية وصدق الرغبة فى إسعاد أطفالهم، ولو أدركوا القيمة التربوية لسنوات الطفولة ومدى أثرها فى تكوين شخصية الطفل الذى سوف يكون رجلاً لعرفوا أن العاطفة الساذجة وحدها لن تحقق رجلاً.

٧ - عدم تقبل الآباء اختلاف أبنائهم عنهم:

- إن الآباء يتعثرون كذلك فى أن يتقبلوا معارضة أطفالهم لهم، حيث إنهم يختلفون عنهم اختلافًا واضحًا، ويعتبرون هذا الاختلاف أمرًا سيئًا، لأنهم يعتقدون فى علم النفس السلوكى الذى يؤمن بأن الأطفال صفحات بيضاء نسطر عليها ما نريد ونهوى بالطريقة التى تروق لنا.. وفى الحقيقة هذا المفهوم ليس صحيحًا.

- أثبتت الدراسات النفسية أن طبيعة الطفل تحدد إلى حد كبير لحظة الإخصاب، حين يتم اتحاد الخلايا الوراثية بعضها ببعض (الجنين)، كما قال أحد الخبراء فى علم الوراثة.. استعداد الطفل الأصلي يأتى معه إلى العالم.

- ينبغي أن يدرك الآباء والأمهات جيدا أن أطفالهم لا يختلفون عنهم فقط، بل يختلفون بعضهم عن بعض منذ ساعة ولادتهم..

فالأطفال بصفة عامة يختلفون في سلوكهم، وفي مقدار معارضتهم، ويختلفون في اتجاه معتقداتهم.. ولا بد من هذا الاختلاف لأنه مقتزن باختلاف الظروف التي نشئوا فيها، والقدرات الموجودة لدى كل منهم.

لذلك: إذا شاء الآباء لأبنائهم التميز ينبغي عليهم أن يتبعوا في أي الاتجاهات تسيير مواهب صغارهم وقدراتهم، وأن يعملوا على توفير الفرص الملائمة لهم التي تتيح لهذه المواهب والقدرات أن تنمو وتزدهر بغض النظر عن رغباتهم هم..

فكثيرا ما نرى موهبة موسيقية أو فنية عند صبي قد وئدت لأن الوالدين يريدانه أن يكون طبيبا أو مهندسا، ولأنهما يريدان أن الفن مهنة دون ما يرجوان لأبنهما.

فالوالدان حين يرغبان «التميز» لأبنهما، لا يستطيعان إخراج نفسيهما من الصورة كلية.

٨ - صعوبة رؤية الأشياء من وجهة نظر الطفل:

١ - على الرغم من أنه ينبغي على الآباء تقبل الاختلاف الواضح في هذا العالم الذي لا يشبه عالمهم الذي نشئوا فيه، فهم

لا يستطيعون تقبل ذلك.. ففي أحسن الأوقات التي يكون فيها الهدوء سائداً يعاني الآباء صعوبة رؤية الأمور من وجهة نظر الطفل..

ويرجع ذلك إلى الحقيقة التي توضح أن السنوات قد أخفت الأخطاء والآلام التي كانوا يعانون منها في طفولتهم، فمعظم الآباء لا يستطيعون تذكر كيف كان حالهم حين كانوا أطفالاً.. ويرددون.. لم نتعامل بهذه الطريقة في طفولتنا.

٢ - أثبتت الدراسات أن الآباء لا يستطيعون في معظم الأحيان فهم أسباب المخاوف والاضطرابات التي تصيب أبناءهم، ولذلك لا يستطيعون السيطرة عليها.

وقد قال أحد الخبراء:

إن المشاكل الخارجية لها تأثير على الأطفال أيضا كما تفعل مع الكبار:

فالمرض، والوفاة في محيط الأسرة، أو الأزمات الاقتصادية، أو الانتقال إلى مكان آخر، وبلد آخر، تعرض الطفل لمثل هذه التوترات ويؤثر على صحته النفسية.

يمكن أن يعاني الأطفال من صدمة ربما لا يكون لها تأثير على آبائهم، ولكن يمكن أن تؤدي إلى صراعات داخلية أو اضطرابات نفسية لديهم.

وانى أعرف طفلا كان يعاني من كابوس ليلى استمر لشهور متعددة من رؤيته لحادث عربية فى الطريق حيث قتل فيه طفل فى مثل سنة.

أحيانا يكون الطفل عليلا أو ضعيف البنية مما يؤثر على تحصيله الدراسى، إذ تكون الضغوط التى يعانيها مع أقرانه فى المدرسة أكثر من قوة احتماله، أو قدوم طفل جديد فى وقت محنة معينة تعاني فيها الأسرة مما يصرف انتباههم عن مساعدة الطفل أو الطفلة الكبرى.

طرق تخفيف التوتر بين الآباء وبين أطفالهم:

يمكن تخفيف التوتر ولكن المنع لا.. فلا توجد قاعدة لتغيير الطبيعة البشرية وتوجيهها نحو الاستقلال..

وفيما يلى الطرق التى تخفف من شدة التوتر بين الآباء وأبنائهم:

١ - يحاول الآباء قبول الحقيقة التى تقول إن الطفل مخلوق بشرى يبدأ حياته ثم ينمو، ويتعلم الكثير، وأمامه طريق طويل لتحقيق

النضج الكامل من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية.

٢ - ليدرك الآباء أنه لا يمكن للعقاب أو الثواب أن يفعل شيئا

للطفل إذا كان استعداده الداخلى لا يسمح بذلك، ولا يستطيع

الآباء أن يرغبوا الطفل على استكمال شىء ما لم يصل إلى درجة

النمو فعلا.

٣ - ينبغي على الآباء والأمهات أن يتقبلوا الحقيقة بأن أطفالهم ليسوا صوراً طبق الأصل لأنفسهم، وأن يدركوا بأنه ليس فى استطاعة أى والدين فى هذا العالم أن يشكلوا أطفالهم بصورتهم.. فالأطفال كائنات حية ومنذ البداية يشبهون أنفسهم ولا يشبهوننا.

٤ - ينبغي على الآباء أن يمهّدوا لأبنائهم الطريق الذى يشعرون فيه بكيانهم، وأن يدركوا أن التهذيب شىء أعمق بكثير من العقاب والجزاء.. فالتهذيب يعطى: أفضل نتيجة حين يصدر عن آباء مدركين لمواقع ضعفهم أنفسهم، وعلى استعداد لإصلاحها والنجاح فى التغلب عليها.. وكذلك يعنى وضع الأطفال تحت سيطرة أنفسهم، فيستطيعون استخدام أحسن صفاتهم، وإتاحة الفرصة لهم لاتخاذ القرارات وقبول نتائج اختبارهم.

٥ - على الآباء والأمهات تجنب التوقع بصورة مبالغ فيها قدرة أطفالهم على تنفيذ اتجاهات واسعة من المسئولية ليس فى مقدورهم تنفيذها.

وأخيراً : ما ينبغي أن يفعله الآباء ليكون الطفل سعيداً :

- ١ - اتباع أفضل ما لديهم من معاملة.
- ٢ - إغداق الحب والحنان والتشجيع والتقدير.
- ٣ - إبعاده عن التوتر النفسى.

- ٤ - توفير الشعور بالسعادة له فى الحياة اليومية.
 - ٥ - محاولة معاملته كشخصهما فى احتمال التعرض للضعف والخطأ.
 - ٦ - تجنب تحركهما بأحلام واسعة وتوقعهما الكثير من الطفل.
 - ٧ - إتاحة الفرصة له للاعتماد على نفسه.
 - ٨ - محاولة الآباء امتلاك المهارة الكافية التى تساعدهم على تحقيق المقاييس التى تصل إلى درجة التهذيب، وتجنب العقاب.
- وفى الوقت الحالى:

يسعدنا أن الأطفال يبذلون ما فى وسعهم فى محاولة تتبع المثل العليا التى يتحلى بها آباؤهم، فإذا لم يتمكنوا من السير بدقة على الطريق المرسوم لهم فهم ليسوا بعيدين عنه، والمر الذى يقع بين طريق الوالدين وبين الطفل غالباً ما يكون يانعاً مزدهراً بكلا الطرفين.

obeikandi.com

«الخاتمة»

الطفل منذ ولادته يصبح عضواً فى مجتمع صغير هو الأسرة، وحياته فى هذا المجتمع عملية تربوية متصلة الحلقات بحيث يكسبه كل احتكاك له بالبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها مهارة اجتماعية، كما تكسبه معرفة وخبرة وميولاً واتجاهات. هذه الخبرات والاتجاهات قد تساعد على تكيفه واطراد نموه، وقد تكون عادات واتجاهات سالبة تفوق هذا التكيف وتعطله بدلاً من أن تعمل على اطراد نموه الطبيعي.

ومعنى ذلك: أن علاقات الطفل مع أسرته ستحدد إلى درجة كبيرة بالاشتراك مع ما يملكه من قدرات واستعدادات ما سيكون عليه فى المستقبل.

ولكى نحقق للطفل - أى رجل المستقبل - الحياة المستقرة المستمرة البعيدة عن الصراعات النفسية، ينبغى أن نوفر له:

الحب، والعطف الذى يشبع حاجاته إلى الشعور بالأمن والطمأنينة - ونجنبه الخوف، والقلق، والشعور بالحرمان والقماسة إذا لم تشبع هذه الحاجات.

وأخيراً:

فإن الأطفال الذين يتوفر لهم المناخ الصحى فى الأسرة سوف يساعدهم هذا على أن يشبوا رجالاً ونساء سعداء فى علاقاتهم الأسرية والاجتماعية، أكفاء فى عملهم، أصحاب نفسياً وجسماً. ثم يصبحون قادرين لمواجهة عالم الواقع بمسئولياته وأفراحه وأتراحه ومتاعبه دون التعرض للخوف والقلق وضعف الثقة بالنفس، ودون القوتر النفسى والتعاسة التى تؤثر تأثيراً سيئاً على صحتهم النفسية.

ولتحقيق توفير هذا المناخ الصحى فى الأسرة، يحتاج ذلك إلى فهم واع من الوالدين لحاجات الطفل النفسية، والعوامل التى تؤدى إلى استقراره، وتدعيم شعوره بالقبول والثقة بالنفس حتى يمكنه الاطمئنان إلى هذا العالم الكبير من حوله، وتحمل مسئوليات الحياة بكفاح ونجاح.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقق الهدف المذكور بأعلاه..

«مؤلفة هذا الكتاب»

- استشاري الطب النفسي.
- تخصصت في ميدان الطب النفسي للأطفال والمراهقين من معهد الطب النفسي بجامعة لندن.
- يشمل نشاطها العلمي العديد من الكتب المؤلفة والمترجمة.
- نُشرت لها عدة مؤلفات في مجال الطب النفسي للأطفال والمراهقين والراشدين.
- قامت بترجمة كتاب «المرأة والحب» من الإنجليزية إلى العربية.. ويحتوى على كيفية توفير الصحة النفسية للمرأة من سن الأربعين.
- قامت بعمل بحث باللغة الإنجليزية يتناول موضوع الصرع. ونشر في مجلة خاصة بالجمعية البريطانية للصرع.
- قامت بعمل بحث باللغة الإنجليزية لهيئة الصحة العالمية عن خدمات الطب النفسي للأطفال والمراهقين بمصر.

● قامت بإنشاء مراكز طب نفسى للأطفال والمراهقين لأول مرة فى مصر وذلك على غرار المراكز فى بريطانيا حيث قامت بالدراسة هناك لعدة سنوات.

● لها خبرة علمية وعملية فى مجال الإعاقة الذهنية.. الناتجة عن دراساتهما فى الخارج فى هذا المجال، ووضعت مؤلفات توضح كيفية التعامل مع الطفل المعاق ذهنيا.

● دائمة الاتصال والزيارات للجمعيات الدولية، وهيئة الصحة العالمية، للتعرف على أحدث الأبحاث فى مجال الطب النفسى، والإعاقة الذهنية للاستفادة منها فى مجال عملها.